مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

بناء الجملة الاسمية الأساسية في قصائد مسابقة البردة للقصيدة العمودية (1444هـ / 2022م)

الباحثة: زهراء جواد خضير

أ. د. ليث قابل عبيد الوائلي

التخصص العام للبحث: اللغة العربية	التخصص الدقيق للبحث:

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

المبتدأ، الخبر، الإبتداء بالنكرة، المبتدأ معرفة، الخبر معرفة والمبتدأ معرفة، الخبر جملة أو شبه جملة

المستخلص باللغة العربية:

يتناول هذا البحث الموسوم بدراسة البنية التركيبية للجملة الاسمية في القصائد المشاركة في قصائد مسابقة البردة للقصيدة العمودية، للكشف عن جماليات التعبير النبويّ عبر هذا النمط اللغوي.
يركز البحث على تحليل المبتدأ والخبر بوصفهما ركني الإسناد في الجملة الأسمية، وما تمنحه من دلالات الثبوت والاستقرار في تصوير شخصية النبي (6) وصفاته. ويدرس أنماط المبتدأ والخبر وأنواع الخبر (المفرد، والجملة، وشبه الجملة).
وقد اعتمد البحث على شواهد مختارة من القصائد العمودية في مسابقة البردة للقصيدة العمودية، لتبيان التوظيف البلاغي للجملة الاسمية في التعبير عن معاني الثبوت والسمو في المديح النبوي.

doi: xx.xxxx

1 توطئة:

يجمع النحويّون على أنّ الجملة الاسمية هي الجملة التي تبدأ باسم، إذ يشكل الاسم بداية لها ويأتي بعده الخبر ليكمل معنى الجملة[1].

فالجملة الاسمية: "هي التي صدرها اسم كزيدٌ قائمٌ وهيهات العقيق، وقائمٌ الزيدانِ، عند من جوّزه وهو الأخفش والكوفيون"[2].

ومن المعروف أن الجملة الاسمية تتكون من عنصرين رئيسين هما: المبتدأ والخبر، وقد سماهما سيبويه المسند والمسند إليه[3].

بقوله: " وهما ما لا يَغْنَى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه. وهو قولك عبد الله أخوك: وهذا أخوك"[4].

هذا يعني أنّ المبتدأ والخبر ركنان رئيسيان في الجملة حتى أن المتكلم لا يستطيع الابتعاد عنهما. نظر النحويون إلى المسند والمسند إليه على أنهما عماد الجملة، ولذلك أطلقوا عليهما

مصطلح (العمد)، «لأنها اللوازم للجملة، والعمدة فيها، والتي لا تخلو منها، وما عداها فضلة يستقل الكلام دونها[5].

فالجملة الاسمية الرئيسية: هي الجملة البسيطة القائمة على ركني الإسناد وحدهما دون عناصر إضافية تكون قيداً على الإسناد، أو موسعة لأحد عنصريه[6].

وسميّت حديثا بتسميات كثيرة منها: (البسيطة)[7]، و(الدنيا أو النواة)[8]، أما الدكتور محمد حماسة فقد أطلق عليها مصطلح الجملة القصيرة بقوله: "تُعدّ الجملة قصيرة، إذا اكتفى بعنصريها المؤسسين فحسب. ففي الجملة الاسمية يُكتفى بالمبتدأ والخبر المفرد، وفى الفعلية يُكتفى بالفعل والفاعل"[9].

وللجملة الاسمية عنصران رئيسان هما:

١ -المبتدأ:

عرّف سيبويه (ت180هـ) المبتدأ بقوله: "فالمبتدأ كل اسم ابتدئ يبنى عليه كلام. والمبتدأ والمبنى عليه رفع. فالابتداء، يكون إلا بمبنيّ عليه. فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه"[10].

وعَرَّفهُ ابن السراج (ت٣١٦هـ) أنه: ما جردته من عوامل الأسماء ومن الأفعال والحروف وكان القصد فيه أن تجعله أولاً لثاني مبتدأ به دون الفعل يكون ثانيه خبره ولا يستغني واحد منهما عن صاحبه..."[11].

أما ابن جني(ت392هـ) فقال: "اعلم أن المبتدأ كل اسم ابتدأته، وعريته من العوامل اللفظية..."[12].

وعرّفه ابن هشام (ت761هـ) بقوله: "المبتدأ: اسم أو بمنزلته، مجرد عن العوامل اللفظية أو بمنزلته، مخبر عنه، أو وصف رافع المكتفى به"[13].

أما سليمان فياض (ت1436هـ) فعرفه أنه: "اسم مرفوع متحدث عنه، وقع غالبا في أول الجملة، وقد يتأخر"[14].

وعرّفه الدكتور فاضل السامرائي أنه: "اسم مرفوع يقع في أول الجملة، مجرد من العوامل اللفظية الأصلية محكوم عليه بأمر نحو: (الحق منصور)"[15].

2 -الخبر

عرّف الزمخشري (ت 538هـ) المبتدأ والخبر بقوله: "هما الاسمان المجردان للإسناد نحو قولك: زيد منطلق. والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل..."[16].

عرّفه الدكتور فاضل السامرائي الخبر أنّه: "اللفظ الذي يكمل المعنى مع المبتدأ ويتمم معنى الجملة الأساسي نحو: (الحق منتصر) فـ (منتصر) خبر المبتدأ؛ لأنه هو الذي تمم معنى الجملة"[17].

أولا: صور الجملة الاسمية الأساسية:

١- الابتداء بالنكرة:

ذكرنا مسبقا أن الأصل في الكلام أن يكون معرفة ولكن قد يبتدأ بالنكرة فقد قال سيبويه: "فأصل الابتداء للمعرفة. فلما أدخلت فيه الألف واللام وكان خبرًا حَسُنَ الابتداء وضعف الابتداء بالنكرة إلا أنّ يكون فيه معنى المنصوب"[18].

يعني أنّ الذي حَسُن الابتداء في: الحمد لله، والعجب والويل لزيد دخول الألف واللّام فيه، وإذا نُكِّر ضَعُفَ الابتداء بالنكرة إلا أنْ يكون في المنكور المبتدأ به معنى المنصوب كنحو ما ذكرنا، وقولهم: سلامٌ عليكم، وويلٌ لزيدٍ، وخيبةٌ لزيد؛ لأنّ هذه أشياء يُدْعَى بها ويجوز فيها النّصب، فإذا رُفِع وذُهب به مذْهب الدعاء جرى مجرى المنصوب في حُسنِه وإنْ كانَ الابتداءُ بنكرة، وقد مضى نحو هذا[19].

وقال المبرد: "فأما المبتدأ فلا يكون إلا معرفة، أو ما قارب المعرفة من النكرات. ألا ترى أنك لو قلت : رجل قائم ، أو رجل ظريف - لم تفد السامع شيئا، لأن هذا .. ! يستنكر أن يكون مثله كثيرا...ولو قلت: خير منك جاءني، أو صاحب لزيد عندي جاز وإن كانا نكرتين، وصار فيهما فائدة؛ لتقريبك إياهما من المعارف"[20].

إذ يرى المبرد أنّ المبتدأ هو (المحكوم عليه)، ولا يمكننا الحكم على شخص مجهول تماماً (نكرة محضة) لأنّ الكلام لن يكون مفيداً. لكنه يسمح بالابتداء بالنكرة إذا تخصصت (أي ضاق معناها بصفة أو إضافة)؛ لأنّها حينها تصبح قريبة من المعرفة ويفهم السامع القصد منها. فالمعيار عنده ليس شكل الكلمة فقط، بل (الفائدة) التي تصل للمستمع. وباختصار: كلما حددت النكرة أكثر، جاز لك الابتداء بها. وإلى ذلك ذهب ابن السراج[21].

والابتداء بالنكرة لا يكون إلّا بشروطٍ عدّة وقد أطلق عليها ابن يعيش (المسوّغات)، إذ حصرها بعشرة أمور[22] ومنها:

1- أنْ يكون نكرة موصوفة، نحو قوله تعالى: (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ) [الأنعام: ٢]،

2- أنْ تكون عاملة: إما رفعاً نحو: قائمٌ الزيدان، فقائم رفعت (الزيدان) على أنه فاعل أو نصباً نحو: أمرٌ بمعروفٍ صدقةٌ وأفضلُ مِنك جاءنِي، إذ الظرف منصوب المحل بالمصدر والوصف، أو جراً نحو: غلام امرأة جاءني، وخمس صلواتٍ كتبهن الله.

3- أنْ يكون المبتدأ نكرة في العطف بشرط أن يكون المعطوف أو المعطوف عليه مما يصح الابتداء به نحو قوله تعالى: (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) [محمد:٢١] أي أمثل من غيرهما.

4- وأنْ يكون خبر النكرة ظرفاً أو مجروراً أو جملة، فيتقدم الظرف والجار والمجرور على المبتدأ، نحو قوله تعالى: (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)[ق: 35]، و(لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) [الرعد: 38]، وقولك: (قصدَك غلام رجل) وشرط الخبر فيهن الاختصاص. ويجب فيها تقديم الخبر " لدفع توهم الصفة، واشتراطه هنا يوهم أن له مدخلاً في التخصيص، وقد ذكروا المسألة فيما يجب فيه تقديم الخبر، وذاك موضعها."[23]

5- أنْ تدلّ على العموم في معناها، مثل أسماء الشرط وأسماء الاستفهام، كقولنا: (ما رجلٌ في الدار) و(هل رجلٌ في الدار)، وقوله تعالى: (أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ) [النمل: ٦٠ و٦١ و6 و٦٣ و٦٤].

6- أنْ يكون المقصود بها صاحب الحقيقة نحو: (تمرةٌ خيرٌ من جرادةٍ).

7- إذا كانت بمعنى الفعلِ، نحو: عجبٌ لزيد ويراد بها التعجب، ونحو قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) [المطففين: 1] ويراد بها الدعاء.

8- أنْ يكون ثبوت ذلك الخبر للنكرة من خوارق العادة، نحو: (شجرةٌ سجَدتْ).

9- وذكر أيضًا أنّه يجوز الإبتداء بالنكرة إذا وقت بعد إذا الفجائية نحو: (خرجت فإذا أسد أو رجل بالباب)،

10- وإذا وردت في أوّلِ الجملة الحالية، نحو قول الشاعر:

سرينَا ونجمٌ قد أضاءّ، فمذْ بدا محيّاك أخفّى ضوؤُه كلَّ شارق

هذه هي مسوغات الابتداء بالنكرة وقد وردت أبياتٍ عدة في قصائد المسابقة جاء فيها المبتدأ نكرة ومنها قول الشاعر فراس القطان[24]:

وهاجسٌ هزَّ جذعَ الروحِ، فارتّعشتْ معنًى جَنِيَّ الهوى، واسَّاقطتْ بلَحَا

فموضع الشاهد هنا هو الابتداء بالنكرة في قوله: (هاجسٌ)، إذ وقعت كلمة (هاجسٌ) مبتدأً، وجاءت نكرةً ، وهو مبتدأ في معنى الفاعل فالمعنى: (ما هرّ جذعُ النخلِ إلا هاجسٌ)، أو قد يكون مما جاز الابتداء به لكونه موصوفًا، والصفة تقدر بـ(عظيم) ، أي: (هاجس عظيم...)، وذلك كمثل قولهم: "شر أهر ذا ناب"، حيث قال فيه ابن عقيل: "أن تكون في معنى المحصور ، نحو : « شَرّ أَهَرَ ذَا نَاب ، وشيء جاء بك ، التقدير (مَا أَهَرَّ ذَا نَابِ إلا شَرّ ، وَمَا جاء بك إلا شيء » على أحد القَوْلَيْنِ ، والقول الثاني [أن التقدير] (شَرٌّ عَظِيمٌ أَهَرَّ ذَا نَابِ ، وشيءٌ عظيمٌ جاءَ بك ؛ فيكون داخلا في قسم ما جاز الابتداء به لكونه موصوفاً؛ لأن الوصف أعم من أن يكون ظاهراً أو مقدراً

، وهو ها هنا مقدر"[25]، وإلى ذلك ذهب تاج الدين أحمد الجندي (ت1301 هـ)، إذ ذهب بمسوغ الابتداء إلى وجهين[26]:

أحدهما: أن التنوين فيه بمنزلة الصفة، لأنّه للتعظيم والتفخيم، ومن دأبهم أنهم إذا أرادوا غاية المبالغة في وصف شيء أن يرموا به منكرا غير موصوف إيذانا منهم بأنه قد بلغ مبلغا تقاصرت العبارات عن الإحاطة بكنهه، والاحتواء على وصفه...والتقدير: (شرٌ عظيمٌ لا يحيطُ بكنهِه الوصفُ، أَهرّ ذا نابٍ).

والوجه الثاني: أنّه فاعل من حيث المعنى، إذْ المعنى: ما أَهَرَّ ذَا ناب إلا شَرٌّ، وهذا كقولهم: (أمرٌ أقعَدَهُ عَنْ الخروجِ)، و(مُهِمْ أَشْخَصَهُ على معنى: ما أقعده عن الخروج إلا أمرٌ وما أشخصه إلا مهم. وكنحو: «بِاللَّهِ» و «مِنْ أَحَدٍ» في: (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ)، وما جاءني من أحد، فهما فاعلان تقديرا، وإن كان الظاهر ينفي فاعليتهما لأن الفاعل لا يكون مجرورا ولا بأس بأن يقع الفاعل منكرا.

إذن فالشاعر ابتدأ بالنكرة تعظيمًا وتهويلًا، لإكساب الهاجس غموضًا وقوة، وساغ ذلك نحويًّا بتقدير وصفٍ محذوف دلّ عليه السياق، فصارت النكرة مختصّة صالحة للابتداء.

ومثل ذلك قول الشاعرة نجاة فرحان[27]:

نبوءةٌ قبلَ خلقِ الخلقِ قائـــــمةٌ قد صار أفقُ الدنـا من فيضِها عجبَا

موضع الشاهد في قوله: (نبوءةٌ)، إذ جاءت مبتدأً نكرة، وساغ الابتداء بها لكونها موصوفة في المعنى، وقد أفادت التعظيم؛ إذ أراد الشاعر أنَّها نبوءةٌ لا نظير لها في عِظَمِها وقِدمِها، فاستُجِيز الابتداء بها على ما تُقرّره كتبُ النحو.

أما خبرها، فقد ورد على هيئة جملة اسمية، مكوّنة من الخبر المقدّم (قبل خلق الخلق)، والمبتدأ المؤخر "قائمةٌ"، فتكون الجملة: (قبل خلق الخلق قائمة) في محل خبر عن (نبوءةٌ).

وأيضا ورد المبتدأ نكرة وخبره شبه جملة من الجار والمجرور في قول الشاعرة شيماء يوسف[28]:

ســدرةٌ للمنتهَى قد زارهَـــــا غيــرُهُ لو جاءَ يخطو لاحتـــــرقْ

وقد ورد المبتدأ (سدرةٌ) نكرةً، وسُوِّغ الابتداء به بوصفها نكرة موصوفة بشبه الجملة (للمنتهى)، وهو من مسوّغات الابتداء بالنكرة[29]. أما خبره، فهو الجملة الفعلية المؤكدة بـقد (قد زارَها غيرُهُ).

فالشاعر ابتدأ بسدرةٍ لتضييق دائرة العموم؛ فليست هي أيُّ سدرةٍ، بل هي السدرة المخصوصة بهذا المكان والمكانة، مما سُوّغ الابتداء بها لتعلق ذهن السامع بالخبر المنتظر عنها.

2 - المبتدأ معرفة.

أ- المبتدأ معرفة والخبر نكرة:

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة وهذا ما ذهب إليه النحويون، يقول سيبويه: "وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدئ بالأعْرَف؛ وهو أصل الكلام."[30]وذهب إلى ذلك المبرد بقوله: "فأما المبتدأ فلا يكون إلا معرفة، أو ما قارب المعرفة من النكرات."[31]

وكذلك ابن السراج إذ قال: "أن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة نحو عمرو منطلق وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه الكلام."[32]، "فإن قيل: لماذا لا يكون المبتدأ في الأمر العام إلا معرفة؟ قيل: لأنّ المبتدأ مخبر عنه، والإخبار عما لا يُعرف لا فائدة منه"[33]، وقال ابن كمال باشا: "والمبتدأ عمدةُ البيانِ وثمّ التحق التقديم والتعريف."[34].

ومن المواضع التي وردت بها هذه الصورة في قصائد مسابقة البردة قول الشاعر حسن عبد راضي[35]:

هو بشرى تناقلتها ذراري الرسلِ شوقًـا، وكتمتهَا الغُيــوبُ

فقد ورد الضمير (هو) مبتدأ معرفة والضمائر أعرف المعارف وهذا ما ذهب إليه سيبويه ومن تبِعه[36]، وافتتاح الشاعر بيته بالمضمر(هو) فيه إشارة بليغة إلى عظمة النبي الأعظم (6)، فإنه مكانته تغني عن التصريح باسمه، إذ يكفي أن يُشار إليه من دون تعريف ليعلم القارئ عمَّن يتحدث. هذا الاستعمال يعكس مكانة النبي (6) السامية التي لا تحتاج إلى بيان أو توضيع.

والجملة الاسمية في هذا البيت الشعري تحمل عمقًا ودلالة قويين، إذ تدل الجملة الاسمية "على الثبوت"[37]. فاختيار هذا التركيب اللغوي يُظهر رغبة الكاتب في تقديم البشرى كصفة جوهرية ومُتأصلة في رسولنا الكريم (6)، فالتركيب يُوطد الرسالة في ذهن القارئ، ويربط بين الثبات اللغوي والمعنى الروحي لهذه البشرى العظيمة.

وقول الشاعر قاسم العابدي[38]:

هو في البدايــةِ خفقةٌ نبويَّــةٌ مَنَّ الإلهُ بِـــــها على آبـــــائِهِ

وقول الشاعر محسن العويسي[39]:

مسراك سلمٌ وإيمانٌ ومعرفةٌ دستورهُ في مدار الكــونِ قرآنُ

فإن المبتدأ في كلا البيتين معرفة، ففي الأول جاء على صورة الضمير (هو)، وفي الثاني جاء في (مسراك)، وهو اسم مضاف إلى ضمير المخاطب، مما يجعله معرفة، و(مسراه) المضاف إلى الهاء. ويُؤيد هذا ما تقرر في النحو من أنّ "أصل الابتداء للمعرفة"[40]، لأن المبتدأ مُخبر عنه، والإخبار عمّا لا يُعرف لا فائدة فيه[41].

وهذا البناء في البيتين - أي ابتداؤهما بمعرفة والخبر اسم نكرة - يدل على إثبات أحد الأمرين للآخر من دون أن يُفهم من ذلك تجدّد أو تكرار في المعنى، وهو ما أشار إليه الجرجاني بقوله: (وإذ قد عرفت هذا الفرق، فالذي يليه من فروق الخبر، هو الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم، وبينه إذا كان بالفعل. وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه، وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء"[42].

ب- المبتدأ معرفة والخبر معرفة:

يرى النحويّون أنّ الأصل في الكلام أنْ يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة، لكن في بعض الحالات يمكن أن يكون كلاهما معرفتين. يقول ابن السراج في قوله: "أنْ يكون المبتدأ معرفة والخبر معرفة نحو: (زيد أخوك) وأنت تريد أنّه أخوه من النسب وهذا ونحوه إنّما يجوز إذا كان المخاطب يعرف زيداً على انفراده ولا يعلم أنّه أخوه الفرقة كانت بينهما أو لسببٍ آخر ويعلم أنّ له أخاً ولا يدري أنّه زيد هذا فتقول له: أنت زيد أخوك أي زيد هذا الذي عرفته هو أخوك الذي كنت علمته فتكون الفائدة في اجتماعهما، وذلك هو الذي استفادة المخاطب فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة فإنها الفائدة في مجموعهما"[43]

يقول الزمخشري: "وقد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معا كقولك زيد المنطلق والله إلهنا ومحمد نبينا ومنه قوله أنت أنت وقول أبي النجم:

.أنا أبو النجم وشعرى شعرى."[44]

ويقول ابن هشام: "أن يكونا معرفتين تساوتا رتبتهما نحو الله»، أو اختلفت نحو زيد الفاضل، والفاضل زيد، وهذا هو المشهور...والتحقيق أن المبتدأ ما كان يعرف كـ زيد في المثال، أو كان هو المعلوم عند المخاطب كأن يقول: من القائم؟ فتقول: زيد القائم فإن علمهما وجهل النسبة فالمقدم المبتدأ"[45].

ويرى عباس حسن أنَّه إذا كان الاسمان – المبتدأ والخبر – معرفتين أو نكرتين متماثلتين أو متقاربتين في درجة التعريف، ولم توجد قرينة تحدد أيهما المبتدأ وأيهما الخبر، فإن تأخير الخبر يصبح واجبًا؛ وذلك تجنبًا للّبس، إذ يقول: "أن يكون المبتدأ والخبر معاً متساويين أو متقاربين في درجة تعريفهما أو تنكيرهما ، بحيث يصلح كل منهما أن يكون مبتدأ ؛ نحو: أخي شريكي -أستاذي

رائدي في العلم - مكافح أمين جندي مجهول - أجمل من حرير أجمل من قطن... في هذه الأمثلة وأشباهها يجب تأخير الخبر؛ لأن تقديمه يوقع في لبس: إذ لا توجد قرينة تعينه ، وتميزه من المبتدأ ، فيختلط المحكوم به بالمحكوم عليه ، ويفسد المعنى تبعاً لذلك. فإن وجدت قرينة معنوية أو لفظية تدل على أن المتقدم هو الخبر وليس المبتدأ جاز التقديم"[46]و يرى الدكتور فاضل السامرائي أن تحديد المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية التي يكون فيها كلاهما معرفتين، يعتمد على السياق والمعنى المراد[47].

ومن المواضه التي وردت فيها هذه الصورة في قصائد مسابقة البردة قول الشاعر كريم الناصري[48]:

محـمد العملاقُ واسمك إن بـــــدا تضـــــاءلَ إلا الله كـل معـــــرّفِ

وقول الشاعر علاء طاهر[49]:

هو الضَّوعُ[50] الذي ما زال يتلـــــو عبيـر نقائـه في كـل غصـــــــــن

نلحظ أن كلاً من (محمد) والضمير (هو) مبتدأ معرفة، والخبر (العملاقُ، الضّوعُ) معرفة بـ(ال)، وفي هذا التركيب دلالة على القصر، أي قصر الصفات (العملاق، والضوع) على النبي الأكرم محمد (6). ويُفهم من ذلك أن القصر هنا إمّا أن يكون قصرًا حقيقيًا، بمعنى أن هذه الصفات موجودة ومعلومة، لكن لا يُعلم أهي لمحمد (6) أم لغيره، فجاءت (ال) لتعني انحصار الخبر[51] (العملاق، الضوع) في المبتدأ (محمد، هو)، وذلك كقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ)[البقرة: ٢٥٥].

وإمّا أنْ يكون قصرًا للمبالغة، وهو الأرجح في هذين الموضعين؛ إذ إن الشاعر أراد أن يبالغ في تعظيم النبي الأكرم (6)، فاختصّه بالخبر عن طريق تعريفه بـ(ال).

يقول الجرجاني: "واعلم أنك تجد (الألف واللام)، في الخبر على معنى الجنس، ثم ترى له في ذلك وجوهاً: أحدها: أن تقصر جنس المعنى على المُخبر عنه لقصدك المبالغة، وذلك قولك: (زيد هو الجواد) و (عمرو هو الشجاع)، تريد أنّه الكامل، إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أنّ الجودَ أو الشجاعةَ لم توجدْ إلّا فيه، وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره، لقصوره عن أنْ يبلغ الكمال. فهذا كالأول في امتناع العطف عليه للإشراك، فلو قلت: (زيد هو الجواد وعمرو)، كان خلفاً من القول."[52]

ومن ذلك قول الشاعر حسن فوزي[53]:

لم ألتفتْ فالبياضُ المحضُ بوصلتِي والريحُ راحلتِي، والمصطفى الحادِي

نَلحظ أنّ كل من (البياضُ، الريحُ، المصطفى) مبتدأ معرفة وخبر كل منها على التوالي: (بوصلتي، وراحلتي، الحادي) معرفة، وإن ما تقدم هو المبتدأ، جاء في المفصل: "وقد يقع المبتدأ

والخبر معرفتين معا كقولك زيد المنطلق والله إلهنا ومحمد نبينا ومنه قوله: أنت أنت وقول أبي النجم

أنا أبو النجم وشعرى شعرى

ولا يجوز تقديم الخبر هنا بل أيهما قدمت فهو المبتدأ."[54] ولكن فاضل السامرائي يرى "أن المبتدأ ما كان معلوماً عند المخاطب والمجهول هو الخبر. فتأتي بالأمر الذي يعلمه المخاطب فتجعله مبتدأ ثم تأتي بالمجهول عنده فتجعله خبراً عن المبتدأ."[55]

ودلالة التركيب في هذه المواضع هو تثبيت فائدة الخب، وقصر الخبر بالمبتدأ، على نحو ما أوضحناه مسبقًا.

3- الخبر جملة أو شبه جملة:

الأصل في الخبر أنْ يكون مفردًا، ولكن يمكن أنْ يأتي الخبر جملة أو شبه جملة[56]. يقول ابن السراج (ت316 هـ): "وضرب يحذف منه الخبر، ويقوم مقامه ظرف له وذلك الظرف على ضربين إما أن يكون من ظروف المكان، وإما أنْ يكون من ظروف الزمان. أمّا الظروف من المكان فنحو قولك: زيد خلفك، وعمرو في الدار.

والمحذوف معنى الاستقرار والحلول وما أشبههما، كأنّك قلت: زيدٌ مستقرٌّ خلفَك، وعمرو مستقر في الدار، ولكنْ هذا المحذوف لا يظهر لدلالة الظرف عليه واستغنائهم به في الاستعمال. وأمّا الظرف من الزمان فنحو قولك: القتال يوم الجمعة، والشخوص يوم الخميس، كأنك قلت: القتال مستقر يوم الجمعة أو وقع في يوم الجمعة والشخوص واقع في يوم الخميس فتحذف الخبر وتقيم الظرف مقام المحذوف...وأما القسم الثاني من خبر المبتدأ: وهو الذي يكون غير الأول ويظهر فيه ضميره فلا يخلو من أن يكون الخبر فعلاً فيه ضمير المبتدأ نحو زيد يقوم، والزيدان يقومان، فهذا الضمير وإن كان لا يظهر في فعل الواحد لدلالة المبتدأ عليه يظهر في التثنية والجمع وذلك ضرورة خوف اللبس."[57]

فيرى ابن السراج أن الخبر إذا جاء ظرفًا، فليس هو الخبر الحقيقي، بل هو شبه جملة يُقدَّر له خبر محذوف، غالبًا يقدر بمستقر. أما إذا كان الخبر جملة فعلية، فيشترط أنْ تشتمل على ضمير يعود إلى المبتدأ، يُعرف بـ(العائد)، الضمير المستتر في يقوم عند قولك زيدٌ يقوم.

والخبر الجملة يأتي على صورتين هما:

١- الخبر جملة اسمية:

ورد الخبر جملة اسمية في مواضع عديدة في قصائد المسابقة ومنها قول الشاعر سجاد الموسوي[58]:

أنا الآن قاموسُ النبوةِ جنتِـــي وأنت نبـيٌّ، والجهات مدائحـــه

وقول الشاعر عادل علوان[59]:

نَلحظ أنّ في البيتين، ورد الخبر على هيئة جملة اسمية، إذ إن كلًّا من (قاموسُ النبوةِ جنتِي) و(على جرفيهِ أسرارُ) تُعدّ جملة اسمية واقعة في محل رفع خبر للمبتدأ الذي سبقها، وهما (أنا) و(نهرٌ). فـ(أنا) مبتدأ أول، و(قاموسُ) مبتدأ ثانٍ مرفوع، وهو مضاف إلى (النبوةِ) التي جاءت مضافًا إليه مجرورًا، في حين أن (جنتي) خبر للمبتدأ الثاني. وبهذا تكون الجملة الاسمية (قاموسُ النبوةِ جنتي) واقعة في محل رفع خبر للمبتدأ الأول (أنا).

أما في الموضع الثاني، فـ(نهرٌ) مبتدأ مرفوع وعليه ضمة ظاهرة، و(حنيفٌ) صفة له، و(على جرفيهِ) جار ومجرور متعلقان بمحذوف تقديره (مستقر)، وهو خبر مقدم للمبتدأ الثاني المؤخر (أسرارُ). وعليه، فإن الجملة الاسمية (على جرفيهِ أسرارُ) في محل رفع خبر للمبتدأ (نهرٌ).

وإن مجيء الخبر على صورة جملة اسمية يُفيد توكيد الثبوت. فإنّ بناء الخبر هنا على شكل جملة اسمية يُضفي على المعنى قوة وتأكيدًا، ويُثبت الخبر للمبتدأ بشكل أقوى.

٢- الخبر جملة فعلية:

ورد الخبر جملة فعلية في مواضعٍ عدّة ومنها قول الشاعر عادل علوان[60]:

- الصبحُ تخشع في عينيهِ مُغْمَضَةً على السجود، فترقى منه أبصار

اختار الشاعر هنا أن يكون المبتدأ (الصبحُ) معرفًا ليُبرز ويُحدد الزمن بدقة[61]، مما يمنح البيت تركيزًا وانسجامًا مع السياق وليثبت حدوث الخبر.

وقد استعمل جملة فعلية في الخبر (يخشعُ) لتُعبّر عن فعل متجدد وحالة مستمرة، يقول الجرجاني: "وأمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء...فإذا قلت: (وزيد ها هو ذا ينطلق)، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءًا فجزءًا، وجعلته يزاوله ويزجّيه"[62]. فهو ليس مجرد حدث عابر، مما يعطي للمعاناة حضورًا حيًا ويجعل الألم يبدو كأنه يتكرر مع كل لحظة، فاستعمل تركيب دلالي، جمع فيه بين الثبوت الذي يرمز إلى الاستقرار وهو ما دلت عليه الجملة الاسمية (الصبحُ يخشعُ)، والتجدد الذي يعبر عن الحركة والتطور الذي دل عليه الخبر (يخشعُ).

وقول الشاعر يوسف هداي ميس[٣]:

قبسٌ يسير بعزةٍ متألقًـــــــــا ويـدور بيـن أزقـة تتشعـبُ

فكلمة (قبسٌ) مبتدأ نكرة، وجاء خبره جملة فعلية هي (يسير بعزّةٍ متألّقًا)، وهذه الجملة تضمنت فعلاً فيه ضمير مستتر يعود على المبتدأ، مما جعل النكرة قابلة للافتتاح بها.

وقد أفاد هذا التركيب، أي مجيء الخبر جملة فعلية، معنى إثبات وقوع الحدث وتجدد الحركة، وهو سير القبس بعزة وتألق.

وقول الشاعر قاسم العابدي[63]:

الوقتُ كربلني فعفتُ قصيدتي في عمر جرفي وانجرفتُ بمائه

وقول الشاعر سيد حسني[64]:

والنفس أدركت النجاة وفارقت ظلماتها، فإذا النفوسُ تنـــــور

فالخبر في البيتين (كربلنِي، أدركت النجاةَ) جملتان فعليتان في محلِّ رفعِ خبر للمبتدأ (الوقتُ، النفسُ)، والفعل في كلا الموضعين ورد ماضيًا إذ يدل على ثبوت وقوع الفعل والحدث في زمنٍ مضـى. إذاً فإن مجيء الخبر في صورة جملة فعلية يُفيد الدلالة على وقوع الحدث وتجددِه في زمن معيّن، وذلك بخلاف الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستمرار.

فالجملة الفعلية ترتبط بالفعل، والفعل بطبيعته يدل على حدوثٍ في وقتٍ معيّن، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. لذلك، عندما يأتي الخبر جملة فعلية، فإنه لا يكتفي بإثبات الصفة أو المعنى للمبتدأ، بل يُشير إلى تحقّق الفعل ووقوعه بالفعل في لحظة زمنية محددة.

أمّا إذا كان الخبر شبه جملة فيأتي على ضربين فإما أنْ يكون جارًا ومجرورًا أو ظرفًا[65]، وقد ورد الخبر شبه جملة (جار ومجرور) في قصائد المسابقة في مواضعٍ عدّة ومن ذلك قول الشاعر فراس كاظم متاني[66]:

شريعتهم شرعٌ، وربانُ فلكِـــهم تحرّكه الأهـواءُ، والناسُ كالدمى

وقول الشاعر عبد الرحمان كرومي[67]:

للهِ فتْحُك، كمْ من ضَبْحِ عادِيَـةٍ تزدانُ شهرًا لها بالنصر ساحـــاتُ

فجملة (كالدمى) و (لله) شبه جملة من الجار والمجرور ففي الموضع الأول جاء حرف الكاف جار للاسم الذي بعده (الدمى)، فهو - أي الكاف - من الحروف العاملة الدالة على التشبيه والجارة لما بعدها[68]، وفي الموضع الثاني جاء حرف الجر (اللام) متصلا بلفظ الجلالة (الله)، وشبه الجملة في كلا الموضعين خبرٌ لا بنفسهما بل متعلقان بمحذوف تقديره كائن[69]، أي الناس كائنة كالدمى، ومدحك كائن لله.

الخاتمة والنتائج:

وختامًا، بعد دراستنا تركيب الجملة في قصائد مسابقة البردة، واستشهادنا بأبيات منتقاة من المشاركات الشعرية نستطيع أن نلمس أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

١- تؤكد مسابقة البردة أن الشعر العمودي العربي ما زال حيًّا، قادرًا على التعبير عن القضايا الدينية والإنسانية، محافظًا على أصالته ومتجددًا..

2- يُبرز تطوّر تصنيفات الجملة أن علم النحو العربي لا يزال نابضا بالحياة، متفاعلًا مع المفاهيم الحديثة في التحليل والدلالة، دون أن ينفصل عن جذوره الأصيلة وتراثه الراسخ.

3- أفاد شعراء البردة من تنوّع التراكيب في الجملة الاسمية لإبراز قداسة النبي (6)، والتعبير عن معاني التعظيم والثبات والخلود، بأسلوب يزاوج بين الجلال اللغوي والعمق الدلالي.

الحواشي:

[1] - ينظر: الكتاب: ١ / ٢٣، والمقتضب: ٤ / ١٢٦، والأصول: ٦٤، ٦٥.
[2] - مغني اللبيب: ٣٦٤.
[3] - بناء الجملة العربية: ٣٣
[4] - الكتاب: ١ / ٢٣.
[5] - بناء الجملة العربية: ٣٣.
[6] - مدخل إلى دراسة الجملة العربية: ٩١، ٩٢
[7] - المرجع نفسه:٩١.
[8] - الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه: 18.
[9] - بناء الجملة العربية: ٥٧.
[10] - الكتاب: ٢ / ١٢٦.
[11] - الأصول: ١ / ٦٤.
[12] - اللمع في العربية: 29.
[13] - أوضح المسالك:1 / ١٨٤.
[14] النحو العصري: 92.
[15] - النحو العربي: 1 / 68.
[16] - المفصل: 47، 48.
[17] - النحو العربي أحكام ومعان: ١ / ١٧٣.
[18] - الكتاب: ١ / ٣٢٩.
[19] - شرح كتاب سيبويه: ٢ / ٢١٩.
[20] - المقتضب: ٤ / ١٢٧.
[21] - مغني اللبيب: ٤٤٥.
[22] - ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٥ - ٤٤٨.
[23] - المصدر السابق: 447.
[24] - قصائد المسابقة: 75.
[25] - شرح ابن عقيل: ١ / ٢٢١.
[26] - الإقليد: ١ / ٣١.
[27] - قصائد المسابقة: 249.
[28] - المصدر نفسه: 199.

[29] - ينظر: مغني اللبيب: ٤٤٥. وشرح ملحة الإعراب: ٧٦، شرح الكافية الشافية: ١/ ٣٦٣، وشرح ابن عقيل: ١ / ٢١٨.
[30] - الكتاب: ١ / ٣٢٨.
[31] - المقتضب: ٤ / ١٢٧.
[32] - الأصول: ١ / ٧٢.
[33] - اسرار العربية: ٥٦.
[34] - أسرار النحو: ١٠٦.
[35] - قصائد المسابقة: ١٠٥.
[36] - ينظر: المقتضب: ٤ / ٢٨١، والانصاف في مسائل الخلاف: ٥٨١، وشرح المفصل: ٣ / ٣٥٠، واللباب: ١ / ٤٩٤، والمقرب: ١ /٢٢٢، والتذييل والتكميل: ٢ / ١١٣.
[37] - معاني النحو: 1 / 15.
[38] - قصائد المسابقة: ٤٥.
[39] - المصدر نفسه: ٨٢.
[40] - الكتاب: ١ / ١٦٥.
[41] - أسرار العربية: ٥٦.
[42] - دلائل الاعجاز: 174.
[43] - الأصول في النحو ١ / ٧٢.
[44] - المفصل: ٢٦.
[45] - مغني اللبيب: ٤٣١.
[46] - النحو الوافي: ١ / ٤٩٢.
[47] - النحو العربي: ١٥٣-١٦٣.
[48] - قصائد المسابقة: ٤٢.
[49] - قصائد المسابقة: ١٤٦.
[50] - الضَّوعُ: طائر من طيور الليل من جنس الهام إذا أحس بالصباح صَدَحَ. [العين ٣/ 30].
[51] - ينظر: نهاية الايجاز: ٨٣، ودلائل الاعجاز: ١٨٦، ومعاني النحو: ١ / ١٥٧، ١٥٨.
[52] - دلائل الاعجاز: ١٧٩، ١٨٠، وينظر: معترك الأقران: ١ / 142، ومعاني النحو: ١ / ١٥٩.
[53] - قصائد المسابقة: ٣٣.
[54] - المفصل: ٢٦، ٢٧.
[55] - معاني النحو: ١ / ١٥٤.
[56] - ينظر: المقتضب: ٤ / ١٢٨، والأصول: 1 / 63، 64، واللمع:30، 31، والمفصل:24.
[57] - الأصول: ١ / ٦٣، ٦٤، وينظر: اللمع:30، 31، وشرح ابن عقيل: 1/ 202-211، وقطر الندى: 26.
[58] - قصائد المسابقة: ٢١.
[59] - المصدر نفسه: ٣٧.
[60] - المصدر نفسه: ٣٧.
[61] - ينظر: معاني النحو: 1 / 100.
[62] - دلائل الاعجاز: 174.
[63] - قصائد المسابقة: 45.
[64] - المصدر نفسه: 194.
[65] - ينظر: المقتضب: ٤ / ١٢٨، والأصول: 1 / 63، 64، واللمع: 30، 31، ومعاني النحو ١ / ١٧٢.
[66] - قصائد المسابقة: ٤٧.
[67] - المصدر نفسه: ٢٦٥.
[68] - ينظر: الجنى الداني: ٨٣، ٨٤.
[69] - ينظر: النحو العربي: ١ / ١٨٣.

المصادر والمراجع:

١- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تح: محمد حسين شمر الدين، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
٢- أسرار النحو، لشمس الدين احمد بن سلمان المعروف با بن كمال باشا، دار الفكر الطباعة، ط٢، ٢٠٠٢م.

٣- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦ هـ)، تح: عبد الحين الفتاني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٦م.
٤- الإقليد في شرح المفصل، لتاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الجندي (ت ٧٠٠هـ)، تح: محمود أحمد علي أبوكته الدراويش، الرياض، ط١، ٢٠٠٢ م.
٥- الانصاف في مسائل الخلاف، للإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الأنباري، النحوي (ت ٥٧٧ هـ)، دار الفكر.
٦- أوضح المسالك، للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام، الأنصاري، المصري المتوفى في سنة (ت٧٦١ هـ)، بيروت - لبنان، دغر الفكر.
٧- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، ٢٠٠٣م.
٨- التذييل والتكميل، لأبي حيان الأندلسي، تح: الدكتور حسن هنداوي، دار القلع- دمشق.
٩- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، تح: د. رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
١٠- الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه، د. علاء إسماعيل الحمزاوي، جامعة المنيا، كلية الآداب.
١١- الجنى الداني، الحسن بن قاسم المرادي (749 هـ)، تح: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
١٢- دلائل الاعجاز، للشيخ الإمام أبي بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ، أو ٤٧٤هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط٣، ١٩٩٢ م.
١٣- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، القاضي جاء الدين عبد الله بن الحرير عبد الله بن عقيل (ت٧٦٩ هـ.)، قم- دار زين العابدين، ط٢، ٢٠١٩م.
١٤- شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن قيم الجوزية، تح:
محمد بن صالح العثيمين، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ.
١٥- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
١٦- شرح ملحة الإعراب، للإمام أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصرى (ت٥١٦ هـ)، تح: الدكتور فائز فارس، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط١، ١٩٩١م.
١٧- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٣ م.
١٨- قطر الندى وبل الصدى، للإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام (ت ٢١٨هـ)، دار السلام- القاهرة، ط٥، ٢٠١٢ م.
١٩- الكافي في النحو، السيد خليفة، تح: عبده الراجحي، طاهر سليمان حمودة، دار ابن خلدون.
٢٠- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، ١٩٨٨م
٢١- اللباب في عمل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ)، دار الفكر دمشق - سورية، ط١، ١٩٩٥ م.
٢٢- لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور أفريقي مصري(ت ٧١١هـ)، تح: د. يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين، نضال علي، مؤسسة المطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٥م.
٢٣- اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 932 هـ)، تح: سميح أبو مغلي، عمان، دار مجدلاوي، ١٩٨٨٠.
٢٤- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨ م.
٢٥- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك الصناعة الكتاب القاهرة - درب الأتراك.
٢٦- معترك الاقران، للشيخ الإمام العلامة حافظ عصره ووحيد دهره. أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي، (ت ٩١١ هـ)، تخ: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٨ م. ص ١٤٢.
٢٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨ م.
٢٨- مغني اللبيب، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط١، ١٩٩٨م.
٢٩- المفصل في علم العربية، للإمام الأجل فخر خوارزم أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط٢.
٣٠- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٩٩٤م.

٣١- النحو العربي أحكامٌ ومعانٍ، للدكتور محمد فاضل السامرائي، دار ابن كثير، ط١، ٢٠١٤م.
٣٢- النحو العصري، سليمان فياض، مركز الأهرام للترجمة والنشر.
٣٣- نحو اللغة العربية كتاب في قواعد النحو والصرف، الدكتور محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
٣٤- النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف بمصر، ط٣.
٣٥- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، تح: الدكتور نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر - بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.